القرود العظام

وأسماؤها العربية

بحث لغوي وعلمي

بقلم القريض ابن المطرف

لما كتبت معجم الحيوان ذكرت قروداً لم أبين سبب تسميتها بالاسماء التي اوردتها فالتبس امرها على بعض الباحثين فرأيت الآن أن ابين السبب الذي دعاني الى تسميتها بهذه الاسماء ولاسيما القرود الكبار مثل القول والسعلاة والبعام والشبق وأني مورد هنا الاسماء العلمية الحديثة كما جاء في كتاب الميجر فلوَر وهو الكتاب المعوّل عليه في تصنيف الحيوانات اللبونة وفي اسمائها العلمية ولا عبرة بما جاء من هذه الاسماء في غيره وهو الكتاب الذي تعتمده حديقة الحيوان في الجيزة وقد اتبعتهُ في التصنيف ، لذلك وقع خلاف في الفاظ لما كان يقع فيها لو ان الباحثين عولوا عليه في التصنيف او عولوا على كتاب حديث من كتب القوم . اما الكتب القديمة وعلى طول باع اصحابها في العلم فانها لا تصلح لمثل هذا البحث . ولا يخفى أن اسم الفصيلة ينبغي ان يكون باسم الجنس النموذجي فيها . فمن الفصائل التي ذكرتها الفصيلة التالية

١ — فصيلة السالي Pongidae

قرود شبيهة بالانسان منها القورلى أي القول والبعام والسعلاة والشق انظر ص ١٨ و٢١ و١١٥ من هذا المعجم

وانا اريد بهذه الصفحات المكان الذي ذكرت فيه القرود واسماءها ولكنني لم أبين سبب تسميتها بفصيلة السالي وسأبينهُ في ما يلي أنما قبل ذلك أنبه القارئ الى ان الميجر فلوَر كتب اسم الفصيلة بياء واحدة وليس بيائين كما كتبتهُ قبلاً لذلك اصلحته هنا . وقد قال ان هذه الفصيلة كانت تسمى قبلاً سميدا ثم وجدت انهُ اخرج الشقوق منها فأخرجها وجعلت لها فصيلة على حدة كما ذكرت في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٤ . اما هذه الفصيلة فتشمل ثلاثة قرود فقط هي القول والسعلاة والبعام وسأذكرها على هذا الترتيب اي القول والسعلاة والبعام فأولها القول وقد قلت فيها ما يأتي : —

٢ — غورلّي . غوب Gorilla gorilla. Gorilla

نوع من السعالي Pongidae اي القرود الشبيهة بالانسان وهو أضخم من البغام وأقوى شرساً جداً .

وكتب اليَّ الاب النساس (المقتطف ٣٩ : ١٧٠) واقترح تسمية الغورلى بالضموس . قال حفظهُ الله : « كنت قد بينت قبل ٢٥ سنة في مجلة الصفاء ان احسن لفظة عربية تُرادف الغورلى هي الضموس ، فاجيبهُ بما يأتي : لم أطلع على المقالة التي يشير اليها ولا ارى مانعاً من تسمية الغورلا بالضموس وهو في اللغة الخبيث من القطارب او الغيلان . وقد أطلق العرب اسم الغول على الغورلا او غيره من القرود في بعض مؤلفاتهم » فذلك سميت الغورلى غولاً كما ذكرت في مادة قرد ص٩٩٠ .

اما ما أوردتهُ في مادة قرد عن الغول فهو ما يأتي . وقد ورد في الصفحة ١٣ فقلت :

للقرود في أساطير العرب شأن كبير . فكانوا يروون عنها الروايات الغريبة وعدُّوها من الجن او المتشيطنة وما الغول والسعلاة والقطرب والبغم والسعير والأزبّ وأزبّ العقبة الا قرود

فالغول ولهم فيها اقوال كثيرة منها انها حيوان شاذ مشوّه لم تُحكمه الطبيعة وانهُ يتعرض للفساد ويكون في ضروب الصور والثياب وزعموا ان جماعة رأوا الغول في الجاهلية منهم تأبط شرًّا وغيره . وقالوا خلقتها خلقة انسان ورجلاها رجلا حمار الى غير ذلك من الاقوال . وأطلق العرب اسم الغول على الغورلّى او غيره من القرود الضخام في بعض مؤلفاتهم . قال شمس الدين الدمشقي في كتاب نخبة الدهر في وصف جزيرة القطرية « وبها بناحية منها بحيل عال الشروع ؟ وهو الغول ويسمى القطرب » . وقال في وصف منابع النيل « وجدوا بجبل من جبال القمر الجان ظاهرين ووجدوا منها طائفة تسمى الروع ؟ وهم الغيلان وأن الغول منهم متوسط الخلق بين الجان والحيوان والانسان يتزيى في زيّ اي حيوان أراد تخييلاً للناظر اليه ويتكلم بكلام الآدمي ويظهر بصورته ويفترس كما يفترس السبع » فلا شبهة انهُ يريد بالغيلان هنا طائفة من الغورلى في أوغندة عددها نحو خمسمائة . وجبال القمر جبال كليمنجارو في منابع النيل

اما كلمة غورلّى هذه فقد أطلقها ايزيدور جفروى العالم الفرنسي في اوائل القرن الماضي على هذا النوع من القرود نقلاً مما ورد في رحلة منسوبة الى حنّون القرطاجي في المئة السادسة قبل التاريخ المسيحي . فانهُ على ما يروى التاريخ قام برحلة في جماعة من رجاله لارتياد سواحل افريقية فمروا ببحر الزقاق اي مضيق جبل طارق وواصلوا السير حول الساحل الغربي من افريقية الى ان بلغوا جَوناً رأوا فيه جزيرة فيها بحيرة وفي البحيرة جزيرة اخرى لقوا فيها قوماً طوال الشعور فقاتلوهم فظفر الرجال اي الذكور وقبض حنّون وجماعته على ثلاث نساء حاولن التملص منهم بالعض والتخديش فاضطروا ان يقتلوهن ثم سلخوا جلودهن وجاؤا بها الى قرطاجنة

ووضعوها في معبد اللات اي يونون . وقد سمى التراجمة هذه النساء او الاناث غورليات . حتى غورلي . وكتب حنون رحلته باللغة الفينيقية على لوح عقفهُ في المعبد مع الجلود وبقي اللوح والجلود هناك الى خراب المدينة وحفظت ترجمة يونانية لهذه الرحلة الى يومنا . ثم لما وصف الطواف هذا الفرد سماهُ جنروى غورلي كما جاء في رحلة حنون القرطاجني . ولعل التراجمة الذين كانوا مع حنون سموا هذه الفرود غيلاناً اي انهم تكلموا بلغة يفهمها حنون ورجاله اي بلغة فينيقية وهي لغة سامية شبيهة جداً بالعربية فلم يكن لهم الا ان يسموا التراجمة من هذه الفرود غولاً كما سمى عامة المصريين الشمبانزي اي البغام غولاً لما رأوه في حديقة الجيزة لاول مرة . ومن الطبيعي أن الشرقي اذا رأى الاورانغ او الشمبانزي او الغورلى ان يقول هذا الغول الذي حدثنا به الحجاج

ولا يبعد ان الذين نقلوا رحلة حنون الى اليونانية حرفوا الكلمة وجعلوها غورلاً . وهذا ليس أغرب من تحريف قرت حدشت الفينيقية الى قرطاجنة فقالوا في قرت حدشت Carthage ثم Carthage . وقرت حدشت معناها قرية الحدث اي المدينة الجديدة ولا يزال هذا الاسم أي الحدث معروفاً في لبنان وبه سميت اماكن كثيرة ولا يخفى ان اليونانيين اخذوا ألفاظاً كثيرة من الفينيقية السامية لا محلَّ لذكرها هنا

وقد اشار بلنيوس الروماني في كتاب التاريخ الطبيعي الى قصة حنون وسمى الجزيرة التي تقدم ذكرها جزيرة القطرية أو جزيرة السعالي وسمى الغورليات سعالي Gorgonaan وذلك في الكتاب الثامن ولا أذكر الفصل . وعليه فلا أرى بأساً من تسمية الغورلى بالغول كما فعل شمس الدين الدمشقي

وقلت في الطنمس : قد جاء عنهُ انهُ الحيث من القطارب او الغيلان وكتب اليَّ الاب انستاس وقد نشرتهُ في المقتطف ٣٩ : ١٧٠ قال « كنت قد بينت قبل ٢٥ سنة في مجلة الصفاء ان أحسن لفظة عربية ترادف الغورلاً هي الطنمس » . قلت ما زال الاب العلامة قد قبل الطنمس فلماذا لا نقبل الغول وهو أقل خبثاً من الطنمس وأخف على السمع

فتجد مما تقدم ان رجال الدين لم يأنفوا من تسمية الغورلى بالغول وهي من الجن او المتشيطنة منهم شمس الدين الدمشقي شيخ الربوة في دمشق فقد تكلم عن الغول كلاماً واضحاً لا يقبل التأويل او الشك . ومنهم الاب انستاس فقد قال ان الطنمس اي الحيث من الغيلان هو في رأيه الغورلى . كذلك رجال الحرب منهم حنون القرطاجني فانهُ سمى الغورلى بالغول . وقد بينت فيما تقدم أن الغورلى ليست الا تحريف اليونان لكلمة غول كذلك رجال العلم منهم ايزيدور جنروى سنتيلر فانهُ سمى الغورلى بهذا الاسم الوارد في اساطير اليونان او اهل قرطاجنة فهل نحن أشد تمسكاً من هؤلاء بالدين او بالعلم لذلك لا ارى بأساً في تسمية الغورلى بالغول ولو كانت من الجن او المتشيطنة . اما تعريب الغورلى بكلمة غرلى وزان قرلى فلا أراهُ صواباً لورود الغول بالعربية وهي فصيحة

٣ — ومنها اني قلت ان فرداً آخر اسمهُ السعلاة بسرية وهذا القول لم يكن احتياطاً على ما درس وروية فقد قلت في ص ١٧٥ ما يأتي

انسان وحشي . سعلاة . Orang-outang, Homo pygmæus

قرد شبيه بالانسان مسكنهُ البياض في جزر الزاخ اي بورنيو وجاوة وسومطرة

ذكرت هذا القرد في المقتطف ٣٣ : ٨٤٤ وسميتهُ الانسان الوحشي من أوضاع أحمد فارس وأضفت الى هذا الاسم السعلاة كما جاء في مادة قرد في الصفحة ١٨٨ من هذا المعجم . أما أدلتي على تسميته بالسعلاة فموردة في الصفحتين ١٥ و ١٦ وهما النسناس والسعلاة فدلت عن تسميته بالنسناس لاختلاف الفصحاء والعامة فيهِ وأثبتت السعلاة واعتمدتها . وهاك ما قلته في النسناس ص ١٦:

ومنها النسناس ومما جاء عنهُ انهُ خلقٌ في صورة الناس او جنس من الخلق يشب احدهم على رجل واحدة او حيوان كالانسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم . او امةٌ تكل واحد منهم نصف بدن ونصف رأس ويد ورجل كأنهُ انسان شق نصفين يقفز على رجل واحدة قفزاً شديداً ويكون في جزائر الصين . وذكر بلينوس الشق والنسناس فسمي الاول منهما كما تقدم اي الشق وسيأتي ذكرهُ وسمي الثاني Satyrus اي السطر ووصفه مثل ما وصف العرب النسناس. ولا يخفى ان هذه الكلمة معناها ايضاً صنم للسوريين كان في صورة نصف انسان اي نصفهُ بشري والنصف الآخر من المعز ولعل الكلمة اليونانية من سطر السامية وهي بالعربية التود من النعم اي التيس . او من مادة شطر اي جعل الشيء نصفين. ولعلَّ هذا الصنم عند السوريين هو السعير الآتي ذكره . والنسناس عند العامة هو هذا القرد اللطيف الصغير الطويل الذنب وهو كثير في دنقله وكردفان وان استعمال العامة للنسناس بهذا المعنى قديم وقد أشار الى ذلك صاحب تاج العروس. وذكر حمد الله القزويني انهُ كان شائعاً في ايامهِ بمصر اي منذ ستمائة سنة لنوع من القرود الكبار من ذوات الاذناب . ويرى الاب انستاس في ما كتبهُ اليَّ ولنشرتهُ في المقتطف ٣٩ : ١٧٢ ان النسناس يوافق القرد الشبيه بالانسان وان الكلمة من نَسْنُوس اليونانية ومعناها القَزَم كتبها العرب نَسناس ثم صحفوها الى لسناس . اقول ربما كان الاب العلامة مصيباً في قوله ان النسناس يوافق القرد الشبيه بالانسان او انهُ يوناني الاصل وعندي ان العامة أولى بتخصيصه لهذا القرد اللطيف وان استعمالهم لهُ بهذا المعنى قديم ويصعب تحويل افكار العامة واستبدال وهم بوهم آخر لا لسبب سوى ان وهماً أقدم من وهم او انهُ وارد في الاساطير او في كتب اللغة بمعنى توهمهُ القدماء

وقلت في السعلاة : ومنها السِعلاة ويقال سِعلاء والجمع السَعالي. قال القزويني: «السعلاة نوع من الشيطنة مغايرة للغول واكثر ما تكون السعلاة في الفياض وهي اذا ظفرت بانسان

رقصة وتلعب به كما يلعب القطط بالفار ٤ وهو في السعلاة اقوال كثيرة منها ان الذكر من الجن والسعلاة الانثى ويريدون بذلك ان الغول اعظم والسعلاة أصغر . ولعل السعلاة هي سعيرم الواردة في سفر اشعيا ١٣ : ٢١ في الترجمة السبعينية « وترقص هناك معز الوحش » وفي الترجمة البسوطية « فترقص هناك الاشاطر » وفي احسن تأدية المعنى قال علماء التوراة يظنون ان سعير شيطان او صنم اله شعر كالتيوس . ولعل كلة سعلاة ايضاً مناها شعراء او زبّاء فالسين والشين واحد في اللغات السامية والراء واللام يتبادلان فالسعلاة والشعراء واحد وسيأتي البحث في ذلك

هذا وقد ورد في كتاب بلنيوس الروماني وفي التوراة الافرنجية كلة ساتيرس . وفي العبرانية سعير او سعيرم لانهم كانوا يظنون هذا القرد او يعدونهُ كما كانت تفعل العرب في جاهليتها على ما ورد في معجم الحيوان ص ١٦ ولا أريد بذلك ان السعلاة هي السعير عينه لكنها كانت قرداً من القرود وهو امر عريق جداً في القدم يقدر بألوف من السنين . وقد سمّى لناوس هذا القرد سيبا ساتيرس اي القرد ساتيرس لان ما جاء في اساطير اليونان يوافقهُ دون غيره من القرود وهو السطر بالعربية كما تقدم في مادة نسناس . ثم ان هذه الامور اي تسمية هذا القرد بالسعلاة او النسناس وقعت منذ الوف والوف من السنين حتى صارت كلة شعراء سعلاء فالتاريخ لا يقاس بحياة الانسان لذلك لا ارأني مخطئاً في قولي انها السعلاة ولو كانت من الجن او المتشيطة او الشياطين . اما كلة نسناس فقد أخذتها عن كتب اللغة وعن القزويني وعن الاب انستاس وكلة سعلاة عن القزويني وعما ورد في معاجم التوراة . ولا اظن هؤلاء مخطئين في دينهم ولكني أحكم بعقلي لذلك قلت ان النسناس والسعلاة هما هذا القرد . ولا يخفى ان القرود الكبار من هذه الفصيلة ثلاثة انواع لا رابع لها الغول وقد تقدم والبام وسيذكر وهذا القرد فان لم يكن هو السعلاة فما هو وان لم تكن السعلاة هذا القرد فأن السعلاة وقد ورد ذكرها في كتب اللغة وان لم تكن هي السعلاة فأن هذا القرد الثالث . ثم ان المسعودي ذكر في مروج الذهب أنهُ جيء بنسناس من اليمن في زمن المتوكل . فهذا النسناس هو بلا شك هذا القرد او البام وأرجح أنهُ السعلاة . وان علماء الحيوان لا يتمسكون بأمور تمسك بها نحن بن يحكمون بعقولهم ويبحثون عن السعلاة والنسناس ويقولون ان هما ولو قال القدماء انهما من الجن او المتشيطة او الشياطين ولا يخفى ان الانسان لا يقدر ان يتصور في مخيلته حيواناً لا وجود لهُ في الكون لذلك تصور الغول اشكالاً لا وجود لها وقال أن السعلاة والنسناس من المتشيطة . وفي المقتطف المقبل شيء عن البام والشيق وفيه فصل الخطاب في هذا البحث . اما الاسم العلمي الذي تقدم ذكرهُ في اول البحث فمعناهُ السعلاة القزم وان شئت فقل النسناس القزم ولكن العامة لا تفهم النسناس بهذا المعنى لذلك عدلت عنهُ الى السعلاة فالنسناس والسعلاة واحد